مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيمو ٣: ١٠–١٥)

يا ولدي تيموثاوسَ إنَّك قد استقريتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكيةَ وإيقونيةَ ولِستَرة. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعِها* وجميعُ الذينَ يريدونَ أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطهدون* أمَّا الأشرارُ والمغوُونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلِّينَ ومُضَلّين* فاستمرَّ أنتَ على ما تعلَّمتَهُ وأيقنتَ به عالِماً ممَّن تعلَّمت* وأنَّك منذ الطفوليةِ تعرفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادرةَ أن تُصيِّرَكَ حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٠–١٤)

قال الربُّ هذا المثَل: إنسانان صعِدا إلى الهيكلِ

أحد الفريسي والعشار

تبدأ في أحد الفريسي والعشار مرحلة جديدة في سنتنا الطقسيّة تُعرف بزمن «التريودي» نسبةً إلى كتاب «التريودي» الليتورجي الذي يتمحور حول عيش الإنسان لسرّ التوبة عبر جهادات الصوم والفضائل، وبلوغه عمق هذا السرّ في آلام المسيح وموته وقيامته.

ينقسم التريودي في ترتيبه إلى ثلاث مراحل: فترة التهيئة للصوم الكبير التي تمتدّ من أحد الفريسي والعشار إلى أحد مرفع الجبن، تليها أسابيع الصوم الستة من أحد مرفع الجبن إلى أحد الشعانين، إلى أن نبلغ المرحلة الثالثة وندخل قدس الأقداس في الأسبوع العظيم المقدّس.

وكتاب التريودي، في بنيته الفريدة وما يحتويه من كنوز روحيّة، هو ثمرة مسيرة طويلة من التطوّر والنمو الليتورجيين عبر تاريخ الكنيسة. فهو يعود في جذوره إلى بدايات الروزنامة الطقسيّة المسيحيّة، حتى انه في بنيته ولاهوته يُبرز محطات نشوء هذه الروزنامة. فإنّ فكرة الاستشهاد التي رافقت المسيحيين الأوَل، وكانت بمثابة الخبز اليومي في عباداتهم وصلواتهم اليومية، لا تغيب البتّة عن صلوات الكتاب، الذي كثيراً ما تأتي معموديّة الدموع فيه لتحلّ محل معموديّة الدم. كذلك بالنسبة إلى التبدلات الحاصلة في منحى العبادة المسيحيّة مع انتهاء زمان الإضطهادات الأول، وتأسس حضارة امبراطورية الروم المسيحيّة، وانتقال عبادات المسيحيين من الأقبية إلى كنائس فائقة الجمال، ثم تكوُّن السنة الطقسيّة عبر الدخول المتدرّج للأعياد السيّدية، اي المختصّة بحياة المسيح على الأرض، بتأثير من لاهوت مجامع الكنيسة وخبرة آبائها في إدراك سرّ التجسّد وعمل الفداء ووعد الملكوت الآتي، ولأعياد السيدة والدة الإله وسائر القديسين.

العدد ٢٠٠٨/٧
الأحد ٧ شباط
أحد الفريسي والعشار
تذكار القديس المعظّم في الشهداء
ثاودورُس (وهبة الله) التيروني
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الخامس

والكتاب يعكس من جهة بهاء الخِدَم التسبيحيّة الاحتفالية في المطرانيات الكبرى مع ما تتضمنه من التوكيد على الظهور الإلهي ومجيء الملكوت في حياة المؤمنين، ومن جهة أخرى ورع الصلوات الرهبانية في أديرة صحراء مصر وجبل سيناء وبادية الأردن وسوريا ودير القديس سابا في فلسطين ثم دير استوذيون في القسطنطينية ومناسك الجبل المقدّس

ليُصلّيا أحدُهما فرّيسيٌّ والآخرُ عشّارٌ* فكان الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسهِ هكذا: ألّلهمَّ إني أشكرُكَ لأنّي لستُ كسائرِ الناسِ الخَطَفَةِ الظالمين الفاسقين ولا مثلَ هذا العشّار* فإنّي أصوم في الأسبوعِ مرّتين وأُعشّرُ كُلَّ ما هو لي* أمّا العشّارُ فوقفَ عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أن يرفعَ عينيهِ إلى السماءِ بل كان يقرَعُ صدرَهُ قائلاً أللّهمَّ ارحمني أنا الخاطئ* أقول لكم إن هذا نزَلَ إلى بيتهِ مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفعَ نفسه اتَّضع ومَن وضعَ نفسَهُ ارتفعَ.

تأمل

يُطلب منا شيئان: أن نُدين خطايانا وأن نسامح خطايا الآخرين، لأن الذي يرى خطاياه يُصبح أكثر تسامحاً تجاه الآخرين، والذي يحكم على الآخرين يُدين نفسه ويُحكم عليه حتى ولو كانت له فضائل كثيرة. انه بالحقيقة لأمر عظيم، يا إخوة، أن لا ندين الآخرين بل ندين أنفسنا. لكننا غالباً ما نغضّ الطرف عن خطايانا، وندين الآخرين، ونفحص خطاياهم، ولا نعلم إن كنّا أكثر صلاحاً منهم. عندما ندين آثوس، وما ساهم في صوغها من تعاليم روحيّة شريفة عن توبة الإنسان وتنقيته وارتقائه، بسرّ الصليب والنعمة الإلهيّة، إلى أعلى مراتب سلّم الفضائل وكمال الحياة في المسيح. وهو لهذا ختم أصالة لوحدة العبادة واللاهوت والروحانيّة في كنيستنا الأرثوذكسيّة.

وتبرز بين أسماء ناظمي التسابيح في التريودي أسماء شخصيّات كنسيّة كبرى مثل القديسَيْن يوحنا الدمشقي وقوزما المرنّم، والبار استفانس الساباوي، والياس الثاني بطريرك أورشليم، والقديسَين جرمانس وطراسيوس بطريركَي القسطنطينية، والقديس ثيوذورس الاستوذيتي، ويوسف الصقلّي المدعو ناظم التسابيح، والمتوحدة أكساني، والإمبراطور ثيوفيلس، والإمبراطور قسطنطين بورفيروجينس، والقديس سمعان المترجم، والبطريركَين الناسكَين الهدوئيَين كاليستس اكسانتوبولس وفيلوثيوس كوكينس.

والتريودي كتاب روحي تعليمي بامتياز. هو خير دليل تربوي إلى الصوم والتوبة والحياة في المسيح. ينعكس فيه لاهوت الصوم الأربعيني القديم عن تهيئة الموعوظين لتقبّل نعمة الروح القدس والاستنارة بأن يُدفَنوا، بالمعموديّة، مع المسيح ليدخلوا، بقيامته، جدّة الحياة في الكنيسة. أمّا المتعَبين والمثقَلين بأحمال الخطيئة من المعتمِدين سابقاً، فيرشدهم إلى المعموديّة الثانية بالتوبة، وإلى حَمل نير السيّد الهيّن وحِمله الخفيف (متى ١١: ٢٨–٣٠)، وإلى أن يلبسوا سلاح الله الكامل (أفسس ٦:١٠) بالإيمان والفضائل الروحيّة زينة النفس والجسد، لكيما يدخلوا خدر النور الإلهي عند بزوغ المسيح شمس العدل من القبر عند فجر اليوم الثالث.

أما أحد الفريسي والعشار، فاتحة زمن التريودي، فهو يبرز فضيلة التواضع. ومحوره القراءة الإنجيلية للمَثَل الذي قاله الرب في ضرورة الصلاة والاتجاه نحو الله وأخينا الإنسان بانسحاق لا متناه. ولا عجب في أن الكنيسة تعلّمنا أن نؤسّس التوبة على الاتضاع الذي هو صورة إفراغ المسيح لذاته. فإنّ الحياة المسيحيّة تكمن بأن يصطحب المؤمن التواضع من بداية حياته الروحيّة كونه الأساس العميق للفضائل التي ينبغي له أن يقتنيها خلال زمن الصوم المبارك بل طيلة أيام عمره. فالتواضع هو العلامة المميّزة للمسيحيّة والفضيلة الحتميّة لأيّة حياة بالروح القدس. هو بدء الفضائل لأنّه الدواء لأول الأهواء: الكبرياء التي أسقطت الملائكة من سموّهم وآدم من الفردوس. لا خلاص من دون تواضع ولا حفظ لوصايا الإنجيل من دونه. لذا تبرز، في بداية الفترة التحضيرية للصوم، الحاجة إلى الاقتداء بتواضع العشار، لكيما تكون الجهادات الروحيّة المبنيّة على هذه الفضيلة ذبيحة مرضيّة لله.

والتواضع سلّم إلى السماء. القديس يوحنا السلّمي يؤكّد أنّ التواضع وحده يكفي لإصعاد الإنسان إلى السماء. وقوّة التواضع هذه فاعلة بخاصة ضدّ الشياطين الذين ينسحقون مهزومين أمامها. هي الشرط الذي من خلاله نقتني التوبة، وبالتالي غفران الخطايا. «لأنّ الرحمة تتبع التواضع كما أنّ الظلّ يتبع الجسد»، يعلّم القديس إسحق السرياني الذي يؤكّد كذلك أنّ «الاعتدال وهدوء الفكر إنّما هما نتيجتان للتواضع».

بالنسبة إلى مؤلّفي التريودي وآباء الكنيسة، الاتضاع هو الفضيلة التي من خلالها نعرف ذواتنا ونطرد أوهام التكبّر الباطلة. والعكس صحيح، فالإنسان الذي يعرف ذاته

الآخرين نصبح بدورنا مذنبين ونستحق عند ذلك العقاب نفسه وجهنّم: «بالكيل الذي تدينون فيه تُدانون». الذي يزني ينقض الوصية كذلك الذي يدين الزاني. اثنان هما اللذان تعدّيا الوصية الإلهية: الزاني والذي يدينه.

لنلتفت إذاً إلى أنفسنا، أيها الأحبّاء! إن رأينا أحداً يخطئ فلننظر إلى خطايانا ولنحسبها أكبر من خطايا الآخرين، لأن الذي خطئ ربما تاب عند السقطة بينما لا نزال نحن على اعوجاجنا ودينونتنا للآخرين. إن لوطاً، وإن سكن صدوم، الاّ انه لم يدنْ أحداً ولم يحكم على أحد، لذلك بُرّر ونجا من النار والهلاك الشامل الذي وقع على أهل صدوم. ولنحكم بكل تواضع على أنفسنا حتى نُرفع بلا دينونة إلى السماء. لنسعَ وراء التواضع لأن به حُكم على الفرّيسي فخسر الفضائل التي كانت لديه.

الفرّيسي يُدان لأنه عمل عملاً حسناً ولكن بطريقة غير حسنة. ويُبرّر العشار لأنه نزع عن نفسه الأعمال غير الحسنة بطريقة حسنة. نظر الله إلى تنهّدات العشّار وانسحاقه وضرباته على صدره، وبعد تقبّله طلبَ الرحمة، جعله مع هابيل البار، بينما ازدرى يبلغ عمق التواضع. الإنسان يقيس وضاعته على جلال الله، وبمقدار ما ينمو ويتقدّم في معرفة ذاته، بهذا المقدار ينمو في معرفة الله. إنّ أساس تواضع العشار هو وقوفه الصادق وظهوره كما هو، على حقيقته، أمام الله، وإدراكه أن آثامه ضاعفت المسافة الوجوديّة الفاصلة بينه وبين خالقه. هذا الحسّ العميق بضعفه وإثمه جعله يتضرّع بالدموع والتخشع، مرتجياً تعطّف واهب الحياة، الذي يمنح غفران الخطايا ويفتح اليوم للمتواضعين أبواب التوبة.

رسالة القديس بوليكربوس إلى أهل فيلبي

كتب القديس بوليكربوس أسقف إزمير الذي استشهد عام ١٥٦ عدَّة رسائل إلى المقاطعات المجاورة لرعيته بغيَة تثبيت الإخوة ونصحهم إحداها وجهها إلى الفيليبيين القاطنين في مقدونية وحُفظت في الكنيسة إلى يومنا هذا. تمتاز هذه الرسالة بلغة بسيطة وتعابير واضحة وتحوي نصائح وإرشادات موجّهة للكنيسة جمعاء.

تُعيِّد الكنيسة المقدسة للقديس بوليكربوس في ٢٣ شباط. نعرف بعض تفاصيل حياته مما دوّنه المؤرّخون، أما استشهاده فنجده مفصلاً في الرسالة الرعائية التي كتبتها كنيسة ازمير بعيد انتقاله.

وُلد بوليكربوس في إزمير في النصف الثاني من القرن الأول وقد رافق الرسل القديسين الذين ساموه أسقفاً على إزمير. عاصر القديس اغناطيوس الانطاكي الذي كتب له رسالة ما زالت محفوظة إلى اليوم. واجه القديس بوليكربوس الهرطقات ورد أتباع الهراطقة إلى الكنيسة الجامعة. أما استشهاده فكان في ازمير سنة ١٥٦ حيث أُحرق جسده بعد أن رفض تقديم الذبيحة للأوثان مجيباً الوالي: «ستة وثمانون سنة وأنا أخدم المسيح فلم يُسِئ إليّ بشيء فلماذا أشتم إلهي ومخلّصي؟» أبدى القديس شجاعة عظيمة أمام الإستشهاد ولم يَخَفْ من النار التي هدَّده بها الوالي بل قال له: «انك تهدّدني بنار تشتعل ساعة واحدة ثم تنطفئ. أتعرف نار العدالة الآتية؟ أتعرف أي عقاب ينتظر الأثمة؟ هيا: لا تتوان، قرّر ما تريده». بعد استشهاده وحرق جسده تمكّن المؤمنون من أخذ عظامه «التي فاقت قيمتها قيمة اللآلئ وكانت أشرف من الذهب النقي المختبَر في البوتقة» ووضعوها في مكان لائق وفي ذلك إشارة إلى عادة تكريم بقايا القديسين منذ القرون الأولى. وقد أوضح المؤمنون في إزمير الفرق بين العبادة التي تليق بالله وحده والتكريم الذي يستحقه مَن يلتصق به من القديسين: «إننا نعبد المسيح كابن الله ونكرِّم الشهداء كتلامذة للمسيح ومتشبّهين به، نحن نحبهم لأنهم يحبّون المسيح، ولهذا استحقوا محبّتنا».

رسالة القديس بوليكربوس إلى أهل فيلبي مؤلَّفة من ١٤ فصلاً يستهلها بالسلام وطلب رحمة الله للمؤمنين. الموضوع الأول في الرسالة هو تهنئة أهل فيلبي على ما أظهروه من العطف والتكريم تجاه الشهداء، ثم يدعوهم إلى ترسيخ إيمانهم بالقيامة. يظهر تواضع القديس بوليكربوس في حديثه عن القديس بولس الرسول إذ يعتبر انه لا يستطيع أن يصل إلى حكمة بولس ويدعو إلى دراسة رسائله. يستند القديس بوليكربوس في كتابته إلى الكتاب المقدس ويورد آيات كثيرة منه. يشدِّد أيضاً على أهميَّة تقديم الطاعة للكهنة والشمامسة الذين يتوجب عليهم أن يكونوا بلا لوم أمام عدالة الله الذي يخدمونه، كذلك يفصّل الأعمال

بتضحيات الفريسي وبفضائله وبإنجازاته وبافتخاره وبكبريائه. ولذلك حُكم عليه كما على قايين قاتل أخيه.

فلنتعلّم، أيها الإخوة ولنعلّم ولنأتِ بإنجازات كبيرة. ولا نفتخرنّ حتى ولو أصبحنا صالحين وأبرار ومسامحين وعطوفين ورحماء. بل على العكس لنتواضع دون أن نفتخر بأنفسنا ونتكبّر حتى لا نخسر عرَقَنا وتعبنا، لأنه يقول: «عندما تفعلون كل هذا قولوا إنكم عبيد بطالون وما يتوجب علينا فعله، قد فعلناه». لا بدّ لنا أن نقدّم لإله الكل التواضع والصبر والخضوع والطاعة والاعتراف بالجميل والشكر. لا بدّ أن نعظّم مشيئته الكلّية القداسة ونسجد لها ولا نهتمنّ باتهامات الآخرين واحتقارهم. لا نضطربنّ لكل هذه التجارب ولا نغضبنّ أمام اهتماماتها لأنها عند حصولها تجلب علينا الفائدة الكبيرة.

لنعلَم، أيها الإخوة، قوّة التواضع وأهميته. ولندرك أيضاً إدانة التكبّر الرديء وهلاكه مثل ظلّ بهيموت في سفر أيوب وابتعاده عن طريق الحق وعن نور العدل.

القديس إندراوس الكريتي

الواجبة على الإكليروس. يواجه بوليكربوس في رسالته الهراطقة بشدّة ويدعو لليقظة في الصلوات والأصوام وللإسراع في عمل الإحسان وللصلاة من أجل كل الناس حتى «أعداء الصليب».

في ختام الرسالة يذكّرهم أنه مرسل لهم رسائل القديس اغناطيوس الانطاكي: «اننا نرسل لكم رسائل اغناطيوس التي أرسلها لنا كما نرسل لكم أيضاً رسائل أخرى موجودة عندنا كما طلبتم». ويطلب إيضاحات عن استشهاد اغناطيوس ومَن معه ويستدعي عليهم نعمة المخلّص.

عرف القديس بوليكربوس، الذي تميّزت كتاباته بالبساطة وبالاستشهاد بالكتاب المقدس، كيف يجمع في حياته بين التعليم الذي قدّمه للناس وبين عيش هذا التعليم الذي اختبره في حياته فأصبح قدوة للناس بالقول والفعل عبر تشبّهه بالمسيح خلال كل حياته حتى الاستشهاد. لم يكتب مقالات أو رسائل كثيرة لكن حياته وأخباره تبقى منارة ترشد المؤمنين إلى حياة القداسة.

رئيس أساقفة اليونان

صباح الأحد ٣ شباط ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس قداساً إلهياً في كاتدرائية القديس جاورجيوس لراحة نفس المثلّث الرحمة رئيس أساقفة اليونان خريستوذولوس الذي انتقل إلى الأخدار السماوية في ٢٨ كانون الثاني. ومما قاله سيادته في عظته: «وُلد رئيس الأساقفة خريستوذولوس الذي نقيم الصلاة لراحة نفسه، في شمال اليونان عام ١٩٣٩ وسيم شماساً عام ١٩٦٥ وشغل منصب أمين سر المجمع المقدس اليوناني حتى انتخابه رئيس أساقفة كرأس للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية وهو في سن ٥٩.

تميَّز عهده بالانفتاح والتجدّد في الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. أنشأ الجمعيات الخيرية الإنسانية لمساعدة الشبان والمراهقين والمُهمّشين والمدمنين على المخدرات وأهم الجمعيات التي أقامها هي المنظمة غير الحكومية المعروفة «بالتضامن» Solidarity التي تؤدي خدمات إنسانيّة وتقدِّم مساعدات خيرية خارج اليونان. ويعود هذا كلّه لشخصية الراحل وقدرته على التواصل.

كان غزير الثقافة والمعرفة ومن صفاته البارزة دماثة الأخلاق. لكن مواقفه التي استقطبت تأييداً وحماسة كبيرة جداً في صفوف المؤمنين ولا سيما الشبان جعلته عرضة للإنتقاد من المدافعين عن العلمنة.

لقد كانت له آراؤه في حقوق الإنسان وفي العولمة وفي موضوعات أخرى شتى دولية ومحلية مما أثار جدلاً. لكنه بدون أدنى شك كان يدافع عن كنيسته دفاعاً قوياً مستمراً ويخاف عليها من كل السياسات الأوروبية والدولية. وكان يخاف على تراث بلده الذي كما نعرف جميعاً ويعرف شعب اليونان أيضاً بأنه أساس للمدنيّة والثقافة الغربية.

أستطيع أن أؤكّد بأن نسبةً عالية من اليونانيين أحبوه وسمعوه وبالرغم من كل انتقاد وُجّه إليه برهن رئيس الأساقفة خريستوذولوس أنه كان من رؤساء الأساقفة الأكثر شعبية في تاريخ كنيسة اليونان.

هذا الذي رقد وهو في سن التاسعة والستين بعد أن خَدَم كنيسته وشعبه، نسألكم أن تذكروه في صلواتكم وأن يجعل الرب في كنيسته كثيراً من أمثاله ليدافعوا عن الإيمان وعن تراث الإنسانية حيثما حلّوا ولكي يدافعوا عن الشباب لإبعادهم عن الضلال. بصلوات جميع القديسين وبصلواتكم نسأل الرب أن يجعله في هيكله السماوي مرتفعاً من الخدمة الأرضية إلى خدمة الهيكل السماوي»..